حركة التحرير الوطني
الفلسطيني
(فتح)

النقد والنقد الذاتي

(10)

دراسات تنظيمية

النقد والنقد الذاتي

يختلف مفهوم النقد والنقد الذاتي في الحركات الثورية عن مفهومه لدى الفئات غير الملتزمة بخط الثورة. والاختلاف ناجم، ليس فقط عن التغاير في مناهج التحليل، وانما عن التناقض في المنطلقات والاهداف والاشكال والضوابط للنقد والنقد الذاتي في المجالين. ان مفهوم حرية النقد في المجتمعات الرأسمالية، حيث تتحكم في السلطة فئات مستغلة، يهدف الى امتصاص نقمة المستغلين واضفاء جو الديمقراطية على المجتمع. وخطورة التمازج بين النقد الليبرالي والنقد الثوري في الحركات الثورية تكمن في الانحراف الى النزعات التبريرية، التي يتحول فيها النقد الى هجوم على الآخرين والنقد الذاتي الى دفاع عن الاخطاء الذاتية ودفع المسؤولية عن الذات الى الغير، أو الى الاقدار والظروف. ويهمنا ان نركز على المفهوم الثوري للنقد والنقد الذاتي وعلى اهدافه واشكاله وضوابطه في الحركات الثورية.

ان تكامل موضوعة النقد والنقد الذاتي تجعلها وحدة متكاملة في المنطلقات والاهداف، وان كان تفسيرها يلزمنا بالفصل ما بين نقد الآخرين وبين النقد الذاتي.

مفهوم النقد الثوري:

هو التدخل في لحظة ما، وبشكل مناسب بين الافعال أو الاقوال ونتائجهما، أو بعد وقوع النتائج، وذلك بغية تأكيد النتائج الأيجابية، ودحض النتائج السلبية، وتحديد حركة الافعال أو الاقوال، وتوافقها مع المنطلقات، وكشف التناقضات، التي كانت فيها، والتي لا تزال، والتي نشأت فيها من جديد. وتتميز عملية النقد الذاتي عن عملية نقد الآخرين بامكانية التدخل، ليس فقط بين الافعال أو الاقوال ونتائجهما، وانما التدخل أيضا بين الافكار وتنفيذها. ومنع الافكار من التحول الى افعال أو اقوال، قد يأتي التدخل ما بينها وبين نتائجها متأخراً.

وواضح من مفهوم النقد الثوري، انه لا يستهدف فقط تقييم السلبيات، وانما يستلزم تقييم الايجابيات أيضاً، الى جانب ضرورة تقديمه المقترحات البناءة لدحض السلبيات وتاكيد الايجابيات وتصعيدها.

اهداف النقد والنقد الذاتي:

يشكل النقد والنقد الذاتي في الحركات الثورية الضمان الحقيقي للحرية، وذلك عندما تمارس عملية النقد ضمن الشروط والضوابط الثورية. ان مهمة النقد والنقد الذاتي ليست تقويم الاخطاء ومنعها من الاستشراء فحسب، وانما هي امضى سلاح في يد الحركة الثورية، يقويها ويرفع قدراتها وفعاليتها القتالية، ويعمق جذورها التنظيمية، ويطور خطها السياسي ليجعلها ترى الامور بمنظار سليم، فتصنع الاحداث ولا تلهث وراءها. ولما كانت منطلقات النقد هي الخطوط الاساسية للحركة الثورية جماهيريا وسياسيا وتنظيميا وعسكريا فان اهداف النقد هي التأكيد على صحة وسلامة هذه الخطوط وحمايتها من كل محاولة مقصودة أو غير مقصودة تستهدف تشويهها أو الانحراف عنها، والاستفادة من كل محاولة تستهدف اغناءها وتطويرها. انه ليس من المبالغة تعريف النقد والنقد الذاتي بانهما (حياة الحزب... الخبز

الذي لا يستطيع بدونه ان يحيا) (1). وليست حياة الحركة الثورية هي الهدف في حد ذاتها، وانما هي وسيلة لتحقيق الاهداف التي تنطلق من اجلها. ومن هنا فان مهمة النقد، لا تقف عند مجرد المحافظة على حياة الحركة الثورية، وانما تقفز الى حد دفعها لتحقيق اهدافها. ذلك لان النقد والنقد الذاتي يحققان الضمان الحقيقي للحركة داخل الحركة الثورية. ورغم التكامل والتداخل في اهداف النقد والنقد الذاتي، فان لكل منهما اهدافه الخاصة التي تتحقق بممارسته.

اهداف النقد :

1. فضح كل الممارسات، بالفعل أو القول، التي تتعارض مع المبادئ والمنطلقات الاساسية للحركة الثورية، أو التي تحاول الانحراف عنها ووقاية وحماية الخط العام للحركة جماهيريا وسياسيا وتنظيميا وعسكرياً.
2. التخلص من كل ما هو رث وبال من الافكار التي اثبتت الممارسة العملية فشلها، والتي تجاوزتها الحركة الثورية في مسيرتها الديناميكية نحو خلق المعطيات الجديدة.
3. تطوير المفاهيم الحركية بالتقييم المستمر للممارسات ومردوداتها الايجابية والسلبية، حتى تعطي العلاقة الجدلية ما بين النظرية الثورية والممارسة مردودها في تطوير النظرية، وبالتالي دفع الممارسة الجديدة نحو الكمال.
4. التأكيد الدائم والمستمر على سلامة وصحة العلاقة بين الحركة الثورية والجماهير، من خلال ضمان الممارسات الثورية الصحيحة لحلقات الوصل الفاعلة بين الحركة الثورية والجماهير.
5. رفع مستوى الوعي السياسي والتنظيمي لمجموع الحركة الثورية، عن طريق ترسيخ القناعات الصحيحة بالنقاش. وتحليل حركة الممارسة قولا أو فعلا وتحديد التناقضات فيها.
6. كشف نواحي الضعف في الافراد أو المنظمات الحركية والعمل على التخلص منها.
7. محاربة كل الظواهر المرضية المتفشية في المجتمع، ومنعها من التسرب الى داخل الاطر التنظيمية لتنافيها مع المفاهيم الثورية.
8. تقويم وتأكيد علاقات المساواة بين اعضاء الحركة الثورية على كافة المستويات التنظيمية.
9. تعميق روح الشجاعة في المواجهة لدى كل اعضاء الحركة والقضاء على روح الاستغابة والدس والنميمة.
10. محاربة روح الذاتية والمركزية المطلقة ومحاولات خنق النقد.
11. تعويد جميع الاعضاء في كافة الاطر، على انهم ليسوا فوق النقد، وبانهم ليسوا معصومين من الخطأ، وتهيأتهم لتقبل آراء الآخرين واحترامها.

اهداف النقد الذاتي:

1. تنمية الثقة في النفس، وذلك بكشف العيوب والاخطاء الذاتية في الممارسة علنا وبصراحة ودون مواربة، والالتزام بالعمل على تصحيحها.
2. التعود على محاسبة النفس، قبل محاسبة الغير.
3. الوقأية من افخاخ الغرور الذاتي، بالانخداع بالانتصارات ورؤية الوجه الايجابي الذاتي والفردي فيها.
4. كسب ثقة الآخرين، وذلك بمنحهم الثقة وجعلهم يعرفون حقيقة المشاعر الذاتية تجاههم وتجاه الروابط النضالية، التي تجمع الفرد بهم والمنطلقة من(انني لا استطيع ان اكسب ثقة الآخرين، اذا لم امنحهم ثقتي، ولا استطيع ان اكسب قلوبهم، اذا لم اعطهم قلبي وحبي).
5. ادانة الافكار الذاتية، التي يكتشف العضو انها خاطئة قبل ان ينفذها، وذلك ضمانا لعدم العودة للتفكير فيها.
6. التعود على التقييم اليومي للممارسات الذاتية، عن طريق النقد الصامت وتحديد الايجابيات والسلبيات فيها، وتصحيح خطة العمل لممارسات المستقبل.
7. التخلص من العادات والصفات الذاتية السلبية والسيئة، والتي يشعر العضو بضرورة التخلص منها، وذلك عن طريق التنقية الذاتية، التي هي اعلى مراتب النقد الذاتي المخلص.

اشكال واطراف النقد والنقد الذاتي:

ان مفهوم النقد والنقد الذاتي يحدد بوضوح الشكل المناسب للنقد والاطراف الاساسية في العملية، حيث ان التدخل في لحظة ما، وبشكل مناسب بين الافعال والاقوال... الخ. يعني ان هنالك طرفاً سيقوم بعملية التدخل، وان هنالك طرفاً قام بتصرف ما قولا أو فعلا. وهذان هما الطرفان الاساسيان في عملية النقد. اما عملية النقد الذاتي، فان الذي يقوم بعملية التدخل، هو نفسه الذي قام بالتصرف أو ينوي القيام به. وبهذا يكون هو الطرف الاساسي في العملية.

ولكن مفهوم النقد والنقد الذاتي يؤكد، ان هذا التدخل يتم بغية تأكيد النتائج الايجابية ودحض النتائج السلبية وتجديد حركة الافعال أو الاقوال وتوافقها مع المنطلقات وكشف التناقضات، التي كانت فيها، والتي لا تزال، والتي نشأت فيها من جديد... وهذا يعني، ان عملية تقييم لا بد ان تتم، مستندة الى المنطلقات الاساسية للنقد. وعملية التقييم للقول أو الفعل، وبصورة أوضح للممارسة، تحتاج الى طرف يقوم بتأكيد صحة النقد أو خطئه، أو تحديد نسبة الصحة فيها من خلال النقد والرد للطرفين الاساسيين.

والطرف الثالث في عملية النقد، هو الاطار الذي يضم المتدخل بالنقد والممارس بالفعل أو القول، وحيث ان اطراف عملية النقد أو النقد الذاتي يحددها عمليا الشكل المناسب، الذي يتم النقد فيه، فان شرح الموضوعين معا، الاطراف والاشكال، يساعد على تفهم ميكانيكية عملية النقد والنقد الذاتي بصورة أوضح. والاشكال المختلفة للنقد والنقد الذاتي لا تحددها طبيعة العلاقات بين اطراف النقد، وانما المحتوى الذي تستهدف عملية النقد أو النقد الذاتي التعرض له. ان التعرض للمسلكيات الفردية ونقدها، يتم بشكل يختلف عن التعرض لمسلكيات تتعارض مع الخطوط السياسية أو التنظيمية. وفيما يلي عرض للاشكال، التي يتم فيها النقد والنقد الذاتي والاطراف من كل شكل منها، وطبيعة محتوى النقد فيها.

اشكال النقد واطرافه:

1. النقد الهامس:

وفي هذا الشكل من النقد، يقوم الناقد بالتعرض للمسلكية الخاطئة بصورة سرية محصورة بينه وبين المنقود. ومحتوى النقد في هذا الشكل، يجب ان يتناول المسلكيات الفردية الخاطئة أو المواقف التي تتعارض بصورة ليست جدية مع منطلقات النقد. وطرفاً هذا الشكل من النقد يمكن ان يكونا من ضمن نفس الاطار والمرتبة التنظيمية. كما يمكن ان يكونا من مرتبتين تنظيميتين مختلفتين، يجمعهما اطار الحركة الواحدة، كما يمكن ان يكون الطرف الناقد من خارج اطار الحركة، عندما تكون الممارسة تتعارض مع المفهوم العضوي لخط الجماهير، وفي هذه الحالة تنعكس الممارسة على الحركة كلها، وليس على الفرد الذي يمارس ضد خط الجماهير.

ان النقد بالشكل الهامس يهدف اكثر ما يهدف الى تصحيح اخطاء المسلكيات الفردية.. ولكنه، اذا تعرض للانحرافات عن الخطوط الجماهيرية والسياسية والتنظيمية والعسكرية، فانه يتطلب ان يتبعه نقد ذاتي مرتفع ضمن الاطار، حتى تتأكد حقيقة الاستفادة من عملية النقد، وبأن المنقود مصمم على التخلص من الفكر الخاطىء، الذي مارس على اساسه.

2. النقد المرتفع:

وهو النقد ضمن الاطار التنظيمي، سواء اكان هذا الاطار خلية تنظيمية أو لجنة أو مؤتمر حركي أو حزبي.. واهمية النقد المرتفع تكمن في اهمية المحتوى الذي يتعرض له هذا الشكل، الى جانب وجود الطرف الثالث، الذي يشكل الحكم على صحة النقد أو خطئه.. ويؤكد الأوجه الايجابية في التقييم. وفي النقد المرتفع، تتم معالجة القضايا الاساسية الفكرية والسياسية والتنظيمية، ولا يتوقف النقد عند كونه مجرد نصيحة، وانما يأخذ قراره بتقويم الممارسة وتصحيحها، حتى تتطابق مع المفاهيم والمنطلقات الاساسية للنقد.

<u>واطراف النقد المرتفع هي:</u>

- الناقد.
- المنقود.
- الاطار _ الخلية، اللجنة الحركية، الحزبية، المؤتمر..

3. النقد الصاخب:

وهو النقد المركز والموجه ضد الظواهر الخاطئة والخطيرة أو المسلكيات الانحرافية، والتي يتوجب استنفار الحركة الثورية كلها ضد التأثيرات السلبية لهذه الظواهر والمسلكيات.

ويبدأ النقد في اخذ الشكل الصاخب، عندما يفشل النقد الصامت أو المرتفع في ردع ذوي الممارسة الخاطئة وحملهم على الاعتراف بالخطأ والتعهد لتصحيحه. وشكل النقد الصاخب يعبر عن ذاته، ليس فقط ضمن الاطر التنظيمية ذات المستوى الواحد.. وانما يشمل الحركة والجماهير لتوضيح صورة الواقع لها. ويتم النقد الصاخب بأشكال مختلفة كالندوات.. وتعاميم الحركة الداخلية وصحافتها العلنية.

ولا يجوز للحركة الثورية، التي تشن هجوما مركزا وصاخبا على ممارسات وظواهر خطيرة، ان لا تأخذ قراراتها الحاسمة بشأن المنحرفين. ولا يجوز ان يتبع النقد الصاخب الموجه للظاهرة تمسك الحركة باصحابها لسبب أو لآخر. حيث ان قضايا السياسة والفكر لا يتم التفاهم عليها بالوسطية وبوس اللحى.. وانما بالحسم الصادق وتحديد الخطأ والصواب بصورة حازمة.

اشكال النقد الذاتي واطرافه:

1. النقد الذاتي الصامت:

وهو شكل للمحاسبة الذاتية على الممارسات والحكم عليها بالايجاب أو السلب بدافع الضمير الثوري. وتتم عملية النقد الصامت عادة قبل الخلود الى النوم، حيث يستعرض الممارس شريط العمل اليومي ويعمل على تقييم حصيلته النضالية اليومية بالاجابة على مجموعة من التساؤلات، التي تصبح عادة صحية، اذا مارسها الاعضاء باستمرار.

ماذا كان يجب عليّ ان أعمل؟

ماذا عملت..؟.. وكيف كانت النتائج؟

ماذا لم اعمل..؟ .. ولماذا قصرت؟ .. وكيف سأتلافى التقصير؟

ما هي المسلكيات الخاطئة التي قمت بها؟.. كيف أصححها؟

ما هي المسلكيات الخاطئة التي قام بها الآخرون؟..

وهل انتقدتهم؟ماذا سأفعل غدا.. ؟ ..وبوضع خطة العمل اليومية .. ومتابعتها الذاتية في نهاية كل يوم يكون المناضل قد فرض على ذاته شروطا تدعم في نفسيته الروح الثورية الحقيقية، التي تتطابق فيها الممارسة مع الفكر نصاً وروحاً.

وهذا الشكل من النقد الذاتي طرفه الوحيد هو العضو بكافة تكويناته النفسية والفكرية.

2. النقد الذاتي الهامس:

وهو شكل مشابه للنقد الصامت من حيث الاطراف وطبيعة المحتوى، واذا كانت المسلكية الخاطئة، التي تتوجب النقد الذاتي تتعلق بقضايا اساسية، فانه يجب ان يتم النقد الذاتي لها بالشكل المرتفع وضمن الاطار. اما اذا كانت المسلكية تسيء لاحد الاعضاء غير العضو الذي يتم النقد الذاتي امامه، فانه يقتضي ان يتم الجمع بين الطرفين، ليتم النقد الذاتي والاعتذار عن المسلكية الفردية الخاطئة. وهذا الشكل من النقد الذاتي يشبه الاعتراف الديني بالخطيئة.. وحيث ان المعرفة تكون محددة بطرفين، فان اهميتها تكمن في التوجه الصادق للتصحيح.

وأطراف النقد الذاتي الهامس هي:

- الناقد الذاتي
- عضو آخر (وقد يلزم عضو ثالث، اذا استلزم النقد الذاتي الاعتذار على المسلكية).

3. النقد الذاتي المرتفع:

يتم هذا الشكل من النقد ضمن اطار تنظيمي، كما في حالة النقد المرتفع. واخطر ما يعانيه هذا الشكل، هو ان كثيرين يمارسونه ضمن الاطر التنظيمية، ليس بدافع التصحيح، وانما بدافع رفع العتب، وسد الطريق على النقد البناء. وقد يمارسه البعض من المسؤولين كمدخل لنقد الآخرين واتهامهم بعدم العمل، من منطلق ان الذي يعمل يخطىء .. والذي لا يعمل لا يجوز له النقد.

واطراف النقد الذاتي المرتفع:

- الناقد لذاته.
- الاطار (كما في النقد المرتفع)

4. التنقية الذاتية:

وهذا الشكل من النقد الذاتي هو ارقى درجاته، حيث ان العضو لا يتعرض لنقد مسلكية خاطئة مارسها، وانما للاعتراف بتكراره لهذه المسلكية الخاطئة.. وبأنه قد يكررها في المستقبل. وانه يطلب المساعدة من بقية الاعضاء ليتخلص من هذه الصفة أو العادة حتى تكتمل صفاته النضالية. ان وصول المناضل في الحركة الثورية الى هذا المستوى، عن ايمان صادق يجعله على استعداد حقيقي للتخلص من كل رواسب المجتمع السلبية في ذاته.

ان عادات الكذب.. والاسراف.. والتباهي.. وغيرها، يصبح التخلص منها أمرا هينا، عندما يكون حاملها على استعداد لتنقية ذاته.. ولخضوعه للنصائح.. والنقد..

واطراف التنقية الذاتية هي:

- الناقد لذاته.
- الاطار..

ضوابط النقد والنقد الذاتي:

ان تحقيق عملية النقد الثوري لاهدافها، يتوقف على درجة التزامها بالشروط والضوابط الثورية، التي يجب ان يتم النقد فيها. ان غياب هذه الضوابط والشروط، يحول عملية النقد الى سلاح مضاد للعمل الثوري. فعندما يصبح النقد هداما لا يلتزم بالروابط النضالية، التي تشد الافراد الى بعضهم، فانه يعمل على تقويض المؤسسات الثورية بدل ترميمها وشد ازرها وصيانتها. وعندما يصبح النقد الذاتي مباهاة وانتزاعا للتصفيق والتهليل، عندما يمارسه المسؤولون، الذين يعلنون في زهو وكبرياء عن استعدادهم لتحمل المسؤولية الكاملة عن الاخطاء، التي وقعوا فيها، والتي يلمحون دائما، بانها كانت رغم ارادتهم، وما كان يمكن تلافيها. ان ضرورة النقد والنقد الذاتي في الحركات الثورية تكمن في ضرورة ضمان عدم اتخاذ موقف منحرف من الاخطاء ونتائجها. والانحراف يكون انانيا ذاتيا، حيث يصر الافراد، والمسؤولون منهم خاصة، على المكابرة وعدم الاعتراف بالخطأ والتشبث بانه صواب، وذلك من منطلق تأكيد عصمتهم الذاتية من الخطأ. هذا الانحراف المسلكي يصبح فيه كبرياء الفرد وحساسيته الذاتية اهم من مصلحته الحقيقية، التي هي مصلحة الحركة الثورية، بشكل عام. اما الانحراف الاخر فينطلق من الجبن والخوف

من تحمل مسؤولية الخطأ والعمل على الصاقه بالآخرين، والبحث عن اسباب ومبررات تجعل المسؤول خارج دائرة الفعل المؤدي الى الخطأ، ان انحراف التبريرية قد يؤدي الى جريمة الصاق المسؤولية بكبش فداء هو في الواقع اضعف حلقات الفعل المؤدي الى الخطأ.

ومن هنا، فان الحركات الثورية تعطي اهمية لشروط النقد وضوابطه توازي اهمية النقد ذاته لانه، كسلاح ذي حدين، اما ان يكون بوجود الضوابط سيفا في يد الحركة الثورية، واما ان يصبح سيفا مسلطا في وجهها بغياب ضوابط النقد والنقد الذاتي. ويمكن تحديد الضوابط الاساسية للنقد والنقد الذاتي بمايلي:

1. الموضوعية:

ان ضابط الموضوعية في عملية النقد، يعتمد بشكل اساسي على المنهج الثوري، الذي على اساسه يتم استنباط النظرية الثورية، وعلى اساسه يجب ان يتم النقد والنقد الذاتي. فتقييم الخطأ المسلكي في الحركات الثورية لا يجوز ان يكون تقييما شكليا، احادي الجانب. ان ضرورة تحديد الظروف الذاتية والظروف الموضوعية، التي حكمت المسلك هي أساس في تقبل النقد له أو عدمه. فتقييم الخط لا يتم اعتباطا ودونما دليل أو برهان أو بالاعتماد على الاهواء الذاتية والتحليلات المبنية على الأوهام والخيال أو على المعلومات المبتورة أو المدسوسة أو الحقائق المجردة. ان المنهج الثوري، الذي على أساسه يتم النقد، يؤكد دائما، انه ليس هنالك حقيقة مجردة، فالحقيقة دائما حسية، وعلى الناقد ان يبرهن ويثبت بالأدلة صحة التقييم، الذي يوجهه للخطأ المسلكي. ان وجود بعض الامراض التنظيمية يجعل دوافع النقد تنحاز بعيدا عن الموضوعية، لغرقها في النزعات الذاتية والفردية. يقول ماو في هذا المجال (اما النقد المتصف بالذاتية داخل الحزب، ورمي الكلام على عواهنه دون استناد الى ادلة أو براهين، والريبة وسوء الظن بين الاعضاء، فهي كثيراً ما تؤدي الى خصومات غير مبدئية داخل الحزب، وتخرب المنظمات الحزبية) [1]. ويؤكد ماو أيضا في نفس المجال الذي يوضح فيه اساليب تصحيح مرض الذاتية على انه (علينا في سبيل تحقيق هذه الغاية.. ان نحترس عند مباشرة النقد داخل الحزب عن الحكم على الاشياء حكما مستندا الى التصورات الذاتية، وان نبعد النقد عن الابتذال. يجب على الناقد ان يبني كلامه على الادلة والبراهين وان يركز نقده على الجانب السياسي) [2].

ان اهمية ضابط الموضوعية، هي ذات اهمية المنهج في الحركات الثورية. فغياب المنهج يؤدي الى غياب النظرية الموضوعية داخل الحركة الثورية، ويعطي مؤشراً على الخلل المنهجي داخل الحركة، مما قد يؤدي الى انحراف الممارسة عن خط النظرية. وان الحرص على ضابط الموضوعية في النقد، يجب ان يعطي اهمية الحرص على مبادىء الحركة الثورية، حيث انه يشكل ضمانة لاستمرارها.

2. الايجابية:

ان ضابط الايجابية في النقد، ينطلق من ضرورة ان يكون النقد داخل الحركة الثورية نقدا بناء، نقدا من اجل البناء لا الهدم، من اجل التصحيح لا التخريب. فعندما يوجه النقد الى احد الاعضاء في الحركة الثورية، نتيجة مسلك محدد، يكون الهدف مساعدة ذلك العضو على الوقوف مرة ثانية ليعطي للحركة الثورية مردودات ايجابية في الممارسات المقبلة. ولا يجوز ان يهدف الناقد الى تحطيم المخطىء، فيشله عن تأدية أي عمل ايجابي في المستقبل. كما انه لا يجوز ان يكون النقد الذاتي تعذيبا للنفس، بحيث لا يعطيها النقد الذاتي دفعا للعمل الاكثر جدية والاكثر ايجابية، بل يدفعها الى الغرق في دموع

اليأس والندم.

ان المضمون الاساسي للنقد والنقد الذاتي، هو تحسين العمل ورفع مستواه. وهذا لن يتم اذا تحول نقدنا الى تحطيم، ونقدنا الذاتي الى مجرد ندم. (لا ينبغي ان نسلخ جلدنا فهو لا يزال بعد نافعا. وإليكم ما اريد قوله: لا ينبغي في مطلق الاحوال ان نغمض اعيننا عن النواقص. من الاجرام ان يفكر احدنا لهذا الاعتبار أو ذاك بالطرائق التالية: ليس من السهل الكلام، من الافضل ان اسكت.. الا انتقد. وحينئذ ينبغي ان يقال له بكل شرف.. بكشف حقيقي، ونحن ننظر مباشرة في عينيه.. عيني رفيق.. عيني شيوعي: انت يا صديقي تسير في طريق خاطىء.. لقد ضللت. فاذا لم تستطع العودة في الطريق الصحيح سوف أساعدك. فاذا لم اتوصل بأخذك من يدك سوف أشدك من شعرك.. سوف اعمل بكل امكانياتي لاصلاحك.. ولكن اذا لم يتم اصلاحك فتحمل مسؤوليتك بنفسك. ينبغي عليك ان تبتعد."[3]

فالايجابية لا تقف عند مجرد ان يكون النقد بناء.. ولكنها تصر ان يتم هذا النقد. ولا يجوز ان يكون موقف العضو في الحركة الثورية سلبيا من المسلكيات الخاطئة.. عليه ان ينتقد، وهو ان لم يفعل يكون في موضع المخطىء الذي بحاجة الى النقد. ولكن ضابط الايجابية يحتم ان يكون النقد دائما حنونا.. نقدا يشبه لمسات الطبيب للمريض.

يقول ماو (يجب علينا... ان نعير اهتمامنا لمبدأين:

أولهما: (الاتعاظ بالاخطاء الماضية بهدف تفادي الاخطاء في المستقبل).

وثانيهما: (معالجة الداء بهدف انقاذ المريض). ان اخطاء الماضي لا بد ان تكشف بدون مراعاة لمشاعر الافراد، من الضروري تحليل ونقد ما حصل في الماضي من الاشياء السيئة باسلوب علمي، حتى يمكن اداء العمل في المستقبل بحذر وترو اكثر وبصورة أجود. وهذا هو المقصود من "الاتعاظ بالاخطاء الماضية بهدف تفادي الاخطاء في المستقبل" ولكن هدفنا من كشف الاخطاء ونقد النقائص هو انقاذ المريض، لا الاجهاز عليه. تماما كهدف الطبيب في معالجة الداء. ان الشخص المصاب بالتهاب الزائدة الدودية ينقذ عندما يزيل الجراح تلك الزائدة. وطالما كان مرتكب الاخطاء لا يخفي داءه خوفا من العلاج، لا يصر على اخطائه حتى تزمن ليستحيل علاجها. بل كانت له رغبة صادقة خالصة في العلاج، في اصلاح اخطائه، فانه يجب ان نرحب به ونعالج داءه حتى يصبح رفيقا جيدا. ولا يمكننا النجاح في علاجه ابدا اذا اندفعنا الى توجيه النقد اللاذع له للتنفيس عن سخطنا عليه. وعلى المرء عند معالجة داء أيديولوجي أو سياسي، الا يلجا الى التصرفات الفظة على الاطلاق. بل عليه ان ينطلق من موقف" معالجة الداء بهدف انقاذ المريض" لان هذا هو الاسلوب الوحيد الصحيح والفعال). [4].

ان تصيد الاخطاء، ومحاولة الرد على نقد الآخرين انتقاما منهم، هي من الامراض التي تحاربها الحركات الثورية، لانها تعتبر مواقف سلبية. يحاربها ضابط الايجابية في النقد والنقد الذاتي. ان ممارسات الاعضاء للنقد من منطلقات واعتبارات شخصية، تعتبر خروجا عن مفاهيم الحركة الثورية.

3. المحتوى:

(ان حرية الانتقاد شيء رائع، بيد انه بعد موافقتنا على ذلك، فليس من الخطيئة بشيء ان نحن اعرنا اهتماما لمحتوى الانتقاد). [5]

ان ضابط المحتوى للنقد والنقد الذاتي يؤكد ضرورة تناول النقد للقضايا الاساسية وللأخطاء المسلكية، التي تتعارض مع النظرية الاساسية للحركة الثورية، وليس الاهتمام بالمسلكية الفردية، التي لا

تمت بصلة للخطوط الجماهيرية والسياسية والتنظيمية والعسكرية، التي تشكل في الحركات الثورية منطلقات اساسية للنقد والنقد الذاتي.

ان النقد من اجل النقد، عملية غير مقبولة في الحركات الثورية. كما ان النقد معتمدا على الدوافع الذاتية أو الفردية، بكل ما تحمله هذه الدوافع من الاضرار في الحركة الثورية، تقود النقد الى ان يكون خاليا من أي محتوى وسيئاً للناقد والمنقود على حد سواء. (عندما تسمعون نقدا كهذا.. نقدا بدون محتوى. نقدا من اجل النقد. احترسوا.. فتشوا عما اذا كانت كبرياء مقدم النقد قد جرحت أو انه قد استثير).[6].

ان اهتمام ضابط المحتوى بالمسائل الاساسية، يشكل حماية من الانحدار الى مستوى النقد الرخيص. والى الابتذال والالتفات الى المسائل التافهة على حساب المسائل الهامة.. يقول ماو، (ينبغي الاشارة الى نقطة اخرى بخصوص مسألة النقد داخل الحزب. وهي ان بعض الرفاق لا يعتنون في نقدهم بالمسائل الكبرى، بل يحصرون كل اهتمامهم في المسائل البسيطة، وهم لا يفهمون ان الغاية الرئيسية في النقد هي التنبيه الى الاخطاء السياسية والتنظيمية. اما فيما يتعلق بالعيوب الشخصية فلا داعي الى توجيه اللوم كثيرا الى الرفاق بسببها، ذلك اذا كانت هذه العيوب لا تمت بصلة الى الاخطاء السياسية والتنظيمية، حتى لا يكونوا في حيرة من امرهم. ثم انه اذا تفشى مثل هذا النقد، فسيتركز كل اهتمام داخل الحزب على النقائص الصغيرة. وعندئذ سيصبح كل واحد هيابا شديد الحذر من الامور التافهة، وينسى مهمات الحزب السياسية وهذا امر شديد الخطر). [7]

ان ضابط المحتوى في النقد، يبعده عن الاغراق في الشكل، على حساب المضمون، ولكن ذلك الضابط يجب ان يخضع بتقييمه للامور لمنطلقات النقد. ان اهمية المواضيع السياسية وضرورة نقد الانحرافات فيها، يجب ان لا يلهينا عن الكشف عن ابسط العيوب التنظيمية ومنعها من الاستشراء. ان الامور التنظيمية والمتعلقة بخط الجماهير خاصة، يجب ان تعطي اهتماما بالغا لان التغاضي عنها يحولها بالتراكم الى مشاكل مستعصية قد تكلف الحركة الثورية وجودها. كما ان اغفال الاخطاء والمسلكيات الشخصية اغفالا تاما، لا يساعد الاعضاء في الحركة الثورية على التخلص من نقائصهم وعيوبهم. ان شكل النقد يجب ان يختلف باختلاف المسلكية المنتقدة.. فالتوجه الى احد الاعضاء ولفت نظره لخصلة سيئة أو مسلكية شخصية معيبة فيه لا يحب ان يتم بنقد مرتفع أو صاخب.. ان شكل النقد الهامس يلعب دورا فعالا في التوجه الى المسلكيات ذات المحتوى الشخصي.

4. التوقيت:

قد يتحول النقد البناء المخلص الى نقد مدمر هدام، اذا ما وجه في الوقت غير المناسب، حيث ان اهمية النقد تنبع من تحقيقه لغايته وليس لذاته. ليس مهما ان يرى العضو الاخطاء فيوجه النقد لها ويسجل موقفا.. ثوريا.. هكذا.. دون ان يأخذ بعين الاعتبار الخضوع لكافة الضوابط، التي تضمن للنقد تغيير الموقف الخاطىء لا مجرد تسجيله. ان ضابط التوقيت وفعاليته يحتاج الى معرفة عميقة بنفسية الاعضاء، الذين يوجه اليهم النقد، كما وان هنالك قواعد عامة لضابط التوقيت، يشترك فيها غالبية البشر. ان تحقيق كل ضوابط النقد، بحيث يكون موضوعيا أيجابيا وذو محتوى وفي المجال الشرعي، قد يتحول اذا ما وجه الى احد الاعضاء، وهو في حالة نفسية معينة، الى نقد هدام تجريحي قد يستفزه ويجره الى الوقوع في خطأ اكبر. كما وان نقد المسلكية الخاطئة مباشرة بعد تنفيذها، وقبل ظهور نتائجها، قد يجر فاعلها الى الدفاع عنها والتشبث بصحتها. ولهذا، فان تحقيق ضابط التوقيت يتم بالتمسك بالقواعد التالية:

1. ان لا يوجه النقد للاعضاء في لحظة الفعل أو الخطأ، وذلك لاحتمال توتر الاعصاب ونشوء ردود فعل سيئة.
2. ان لا يوجه النقد لعضو آخر من قبل العضو، الذي وجه اليه النقد، في نفس الجلسة من ذلك العضو، حتى لا يبدو النقد وكأنه عملية رد اعتبار أو انتقام، مما قد يخلق حالة استفزاز.
3. ان لا يوجه النقد للعضو في وقت يكون فيه مرهقا أو متعبا. ويمكن في حالات كثيرة اختيار الوقت المناسب بالاتفاق مع العضو، وذلك في حالات النقد الهامس.
4. ان لا توجه حملات النقد الصاخب داخل الحركة الثورية، في الوقت الذي يكون فيه الفرد الموجه اليه النقد أو المنظمة في وضع قد يضيع فيه النقد هباء. كأن يوجه النقد لاخطاء مسلكية محددة، في الوقت الذي حقق فيه العضو أو المنظمة منجزات وانتصارات كبيرة.
5. ان لا يوجه النقد الصاخب للعضو أو المنظمة في ظروف نفسية قاسية يتساوى فيها تقبلها للنقد مع وجودها، فتضرب اما بالنقد أو بالوجود عرض الحائط، وتكون النتيجة في كلا الحالتين مدمرة للحركة الثورية.

5. المجال:

أين يجوز للاعضاء ان يوجهوا انتقاداتهم...؟ لقد حدد ضابط الموضوعية والايجابية والمحتوى، كيف يتم النقد، وحدد ضابط التوقيت، متى يتم النقد. اما ضابط المجال، فانه يحدد أين يجب ان يتم النقد. وما دامت اشكال النقد والنقد الذاتي واطرافه المختلفة تفرض على النقد مجالات مختلفة، فان ابسط هذه المجالات هو المجال الذاتي، حيث يبدأ الانسان في محاسبة نفسه وتقويمها بالنقد الذاتي الصامت.

وبعد ذلك، فان تطبيق النقد الهامس بين عضو وآخر، يتم شريطة ان تربطهما صلات تنظيمية محددة. اما النقد المرتفع، فلا يحب ان يتم الا ضمن الاطر التنظيمية. ان النقد خارج الاطر التنظيمية هو من اخطر المخالفات، التي تحاسب عليها الحركات الثورية اعضاءها، وذلك لما تقود اليه هذه الممارسات من التسيب، وما تجره من حملات التشهير والتزوير، التي يستفيد منها الاعداء، فتأخذ شائعاتهم الزاحفة دورها في تحطيم الحركة الثورية. ان خطورة الثرثرة خارج الاطر، تؤدي الى افشاء اسرار الحركة الثورية. وان دور المناضل الحقيقي، هو النضال، وشن الحملات على كل الامراض التنظيمية والمسلكيات الخاطئة، على ان يتم ذلك داخل الاطر التنظيمية. ان (النقد من وراء الظهر بصورة لا مسؤولة عوضا عن تقديم المقترحات الى المنظمة بصورة ايجابية، والسكوت امام الناس والغيبة وراء ظهورهم أو الاعتصام بالصمت في الاجتماع والثرثرة بعده، وتجاهل مبدأ الحياة الجماعية والانقياد وراء المزاج الشخصي) هو من اشكال الليبرالية التي تتعارض مع المبدأ الاساسي في الحركات الثورية وهو مبدأ المركزية الديمقراطية.

ان عملية نقد الظواهر المرضية المتفشية والمعادية لخط الجماهير والممارسات، التي تتعارض مع الخطوط السياسية والتنظيمية والعسكرية، يجب ان توجه بشكل صاخب داخل الاطر التنظيمية، وضمن حدود الحركة الثورية الواحدة في مؤتمراتها واجتماعاتها الموسعة وتعميماتها الداخلية. ان اهمية النقد داخل الاطر، مرتبط بأهمية وجود هذه الاطر، حيث ان تفشي النقد خارج المنظمات يشلها ويضعف من روابطها، ويحول الحركة الثورية الى تجمع بشري غير مسؤول.. (ان عددا كبيرا من اعضاء الحزب يمارسون النقد خارج الحزب لا في داخله. والسبب في ذلك يعود الى ان العضوية العاملة لم تفهم بعد اهمية المنظمة الحزبية، من اجتماعات ونحوها، فتظن انه لا فرق بين ممارسة النقد داخل المنظمة أو

خارجها، واسلوب التصحيح هو تثقيف اعضاء الحزب، بحيث يفهمون اهمية المنظمة الحزبية، ويدركون انه اذا لزم توجيه النقد الى اللجان الحزبية أو الرفاق، فانه يجب توجيهه في الاجتماعات الحزبية).

الهوامش:

1. ماو - المؤلفات - المجلد الاول - ص 162
2. المصدر السابق - ص 163
3. كيرون سيرجي - مقالات وخطابات مختارة - ص 103
4. ماو - المختارات - المجلد من ص 65
5. لينين - الاعمال الكامنة - جزء 31 - ص 442
6. لنين - الاعمال الكاملة - جزء 31 - ص 442.
7. ماو - المختارات - المجلد الاول - ص 162، 163.